

6

# قصص الصحابة

الصحابي  
الشجاع

سلوى العناني



# الصحابي التتجاع

(عبد الله بن رواحة)

لكنني أسأل الرحمن مفسرةً .. حربة ذات فروع تغذف الزبد  
عبد الله بن رواحة

هذا يومٌ وقفَ التاريخُ عنده متأملاً .. فقد كان بدايةً تحوُّلٍ  
مؤشِّرٍ (المواقع) ليقفَ عند موقعٍ جديدٍ غيرِ الذي طالما  
وقفَ عنده في شبه الجزيرة العربية .. وكان هذا في عام 621  
ميلادية .. في هذا اليوم جله اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب  
لللقاء النبي عليه السلام .. وكان اللقاءُ على مشارفِ مكة في  
مكانٍ يُسمى (العقبة) .

يومها جلسَ النبيُّ مع هؤلاء يُجيبُ على أسئلتهم  
ويبصِّرُهُم بحقيقةِ الدينِ الذي جله به .. استمعوا إليه وقد  
تفتحت قلوبُهُم لدعوته فعملاها النورُ .. فبايعوه ..

على أي شيء بايعوه .. بايعوه على ألا يُشركَ أحدُهُم بالله  
شيئاً .. ولا يَسْرِقَ ولا يَزْنِي ولا يَقْتُلْ أولادَهُ ولا يَأْتِي بيهتانٍ  
يفترية من بين يديه ولا رجليه ولا يعصي الله في معروفٍ .

كان من بين هذا الوفد القادم من يثرب سلبٌ وسليمٌ



تبدو عليه ملامح الرُعدة .. أطل النظر إلى وجه النبي وكأنه  
يتمنى أن يحتفظ بقسماته في ذاكرته وقلبه .. اهتسم ابتسامة  
المؤمن المصدق الموافق على ما سمع ثم توجه بالسؤال إلى  
الرسول فقل :

- يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

فقل عليه السلام : "أشترط لربي أن يعبدوه ولا  
تُشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني عما تمنعون منه  
أنفسكم" .

قال (عبدُ الله بن رواحة) : فإذا فعلنا ذلك فمماذا لنا ؟

قل عليه السلام : الجنة .

هنا تهللت وجوه الوفد كله وصالحوا معا : "رَبِّحَ الْبَيْعُ ..  
لا تُفِيل ولا تُسْقِبِل .." بعدما نزل قولُ الله تعالى :

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ  
لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًا  
عَلَيْهِ حَقًّا فِي الشُّرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى  
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بَالِغَتْ بِهِ وَذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ١١١] .

هكذا كانت البداية .. بداية الرحلة التورانية التي سار

(عبدُ الله ابن رواحة) على خطراتها في ثقة الفارسي وصدق  
الشاعر وثبات المؤمن ..

كانت بيعةُ العقبة الأولى هذه تضم اثني عشر رجلاً ..  
أما العقبةُ الثانية - في العام التالي - فقد ضمت خمسة  
وسبعين مسلماً منهم امرأتان ..

وهكذا كان بدءُ التفكير في هجرة النبي عليه السلام إلى  
يثرب وبدأ الإعداد لهذه الهجرة التي حولت مؤشراً (المواقع)  
من مكة إلى المدينة كما قلنا في بداية حديثنا ..

وتجمع المسلمون عند مداخل المدينة يستقبلون نبيهم  
ورسولهم بالفرحة والسعادة .. مع أمنية عزيزة كانت ترقدُ  
في صدر كل منهم هي أن يحظى بدخول النبي بيته فيكون  
ضيفه ..

وتقدم عبدُ الله بن رواحة وأمسك بزمام (القَصْواء) ناقه  
النبي وقال له : إيتنا يا رسول الله حيث العزُّ والمتعة . إلا أن  
الرسول شكره وقال له كما قال لكل من تقدم إليه طالباً  
هذا الشرف .. قل : (اتركوها فإنها مسمورة) .

وسعد (ابن رواحة) برفقة النبي عليه السلام .. يلزمه  
ويسمع منه .. يصلي خلفه ويحفظ ما ينزل عليه من القرآن ..

كان (عبد الله بن رواحة) شاعراً مشهوراً له بين  
العرب .. وما إن دخل الإسلام قلبه حتى وظف موهبته هذه  
لخدمة دينه والدفاع عن نبيه .. ومن جميل شعره ..

إِن تَفَرَّشْتَ فِيكَ الْحَيَاةَ أَعْرِفْهُ فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا  
وَلَوْ سَأَلْتُ أَوْ اسْتَصْرْتُ بَعْضَهُمْ وَاللَّهِ يَقْلُمُ أَنْ مَا عَانَى الْبَصَرُ  
أَلْتِ الشَّيْءُ وَمَنْ يُحَرِّمُ شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ لَقَدْ أَرَزَى بِهِ الْقَدْرُ  
فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا الْقَوْلَ .. أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ  
مُبْتَسِماً عَلَى ابْنِ رَوَاحَةَ وَقَالَ : (وَايَاكَ فَتَيْتُ اللَّهَ) .

وتوالى قصائد (عبد الله بن رواحة) خلاصة بعد هذه  
الدعوة العظيمة التي دَعَا النَّبِيُّ لَهُ بِهَا إِلَى أَنْ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ  
تَعَالَى : {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فامتنع عن قول الشعر  
وقال: (وقد علم الله أنني منهم) . واستمرت مقاطعة ابن  
رواحَةَ للشعر حتى بعد أن نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ غَدِرِ مَا  
ظَلَمُوا وَسَخِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}

[الشعراء : 227]

خرج (عبد الله بن رواحة) يوماً مع النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

وأصحابه في سَفَرٍ طَوِيلٍ - وبينما هم في الطريق قال له  
النبي : "انزل فحرك بنا الركب" أي قُلْ شعرا بنه النائم  
ويطرد عنهم كلهم فيستحثون بنورهم الدواب لتسرع  
في سيرها .

فلجابه (ابن رواحة) : يا رسول الله - إني قد تركت قولِي  
هذا. أي تركت قول الشعر .. فغضب (عمرُ بن الخطاب)  
وصاح فيه : اسمع وأطع .

وفضت قريحه (ابن رواحة) طاعةً لرسول الله ..

يا ربُّ لولا أنتَ ما اعتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأتزل سَكِينَةً عَلَيْنَا وَكُنْتَ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقِينَا

إِنْ الْكَفَارُ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا لَهْمَةً أَبِينَا

فلما استمع النبي لإنشاده دعا له قائلا : "اللهم ارحمه" ..

وهكذا وَجَّيَتْ الرَّحْمَةُ الْمَطْلُوقَةَ .. أو قل (الجنة) لهذا

الفارس الشاعر النبيل ..

تروى الكتبُ التي تؤرخ لصدر الإسلام هذه الرواية عن  
(ابن رواحة) ، فقد صاحب (عبد الله بن رواحة) النبي في  
عمرة القضاء وكان يَمْلِكُ يَزِمَامُ (القصواء) ناقة النبي  
التي كان يسيرُ خلفه المسلمون مهللين مكبرين فرحين

بزيارة جسد الله الحرام - وانفعل ابن رواحة بالوقوف  
وفاضت شاعريته فانطلق يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ مَعَ رَسُولِهِ  
نَحْنُ ضَرْبَانَكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ      كَمَا ضَرْبَانَكُمْ عَلَى تَسْوِيلِهِ  
ضَرْبَانِ يَزُولُ الْهَامُ عَنْ ثَقِيلِهِ      وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ غَلِيلِهِ

وأثارت هذه الأبيات مشاعر بعض المسلمين وتحركت في  
داخلهم نوازع الحرب .. لكن هذا يخالفُ بنودَ (صلح  
الحديبية) .. وتنبه (عمرُ بن الخطاب) فنه (ابن رواحة) إلى  
هذا .. وسمع النبي ما يدورُ من حوله فلقه بالحديث إلى (ابن  
رواحه) قائلا: "إيه يابن رواحة .. قل : لا إله إلا الله وحده ،  
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَنَصِّرْ عِبْدَهُ ، وَأَعِزْ جُنَّتَهُ ، وَهَزِّمْ الْأَحْزَابَ  
وَحْدَهُ" .

وانطلقت حنجرة (ابن رواحة) رافعة ما قاله الرسول ..  
فتبعه باقي المسلمين .. وأصبح هذا النداء هو نداء المسلمين  
يردّدونه قبل صلاة العيدين ناسياً بملامتهم ونبيهم ورسولهم  
عليه الصلاة والسلام .

وكما كان (عبد الله بن رواحة) شاعراً تتناقل الصحاري  
والوديان أبيات شعره .. فقد كان فارساً مقاتلاً تشهّد له

ساحات القتلى بالقوة والشجاعة والذكاء العسكري .. وكان من القلائل في مجتمعه الذين أسكوا القلم ليكتبوا فوق الصفحات .. لكن التاريخ سجل مفاخر ما قدمت يمنه من الدفاع عن الإسلام ونبيه في مواقع بدر وأحد والخندق ومؤتة. وكان فوق هذا وذاك رجلا حكيما ذكي الحوار قوي الحججة ..

خرج رسول الله يوما لزيارة أحد صحابته - وكان مريضا - ومعه (أسامة بن زيد) و(عبد الله بن رواحة) وعند آخر من الصحابة .. وفي طريقهم شاهدوا (عبد الله بن أبي) - زعيم المنافقين - يجلس مع بعض رفاقه .. ولأن النبي كان نموذجاً للذوق الرفيع والخلق الحسن فقد نزل عن راحلته وراح يسلم على هؤلاء الذين يفترض أنهم مسلمون وكعادته رتل النبي بعض القرآن ودعا إلى الله أملا في حسن الثواب ، وما إن انتهى الرسول من حديثه حتى قل له (ابن أبي) :

- يا هذا .. إنه لأحسن من حديثك هذا - إن كان حقا - أن تجلس في بيتك فمن جارك فحدثه إليه .. ومن لم يأتك فلا تعذيب به ولا ناقة في مجلسه بما يكره .



وثار رفاق النبي وصحابته هذه الصفاقة التي تحدث بها  
(ابن أبي) وشهروا أسلحتهم يقتلهم (عبد الله بن  
الرحمة) الذي صاح قائلا:

- يا رسول الله .. إن الذي قلتَ هو الحق الذي لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ،  
وإنه والله لأحب شيءٍ إلى نفوسنا وقلوبنا ، فافحشنا به ،  
والثنا به في مجالسنا ودروبنا وميوتنا فهو - والله - ما للحب  
ومما أكرمنا الله به وهذا بك

فمضى (عبد الله بن أبي) صلياً خائفاً .. وما نظنه  
خجلاً .. فللتافقون لا يعرفون الخجل ..

ولتكن لنا هنا وقفة عند لحظة هامة في حياة الصحابي  
الجليل (عبد الله بن رواحة) .. وهي غزوة مؤتة .. هذه  
الغزوة التي شهدت استشهاده ..

بدأ التفكير في هذه الغزوة مع بداية العام الثامن  
للهجرة (629) ميلادية .. بعد أن أيقن الرسول وصحبه  
بضرورة تأمين الحدود الشمالية للجزيرة العربية بعد أن تم  
تأمين الجنوب بولاء حاكم اليمن وإبرام المعاهدة مع  
قرش .. وبعد أن ضمن انتشار الإسلام في أغلب أرجاء

الجزيرة .. أصبح لزاماً فتح باب هذا الانتشار خارج  
الجزيرة .. وكانت الشام هي نقطة البداية الاستراتيجية لهذا  
دعا الرسول عليه السلام إليه ثلاثة آلاف مقاتل من  
المسلمين بقيادة (زَيْد بن حارثة) وقال لهم :

- إن أصيب (زَيْدُ) (فجعفر بن أبي طالب) على  
الناس .. وإن أصيب (جعفر) (فعمد الله بن رواحة) على  
الناس .. واتجه ابن رواحة لرسول الله يودّعه ويتزود منه  
بالتصائح قال:

- يا رسول الله مرّني بشيء أحفظه عنك .

قال عليه الصلاة والسلام : إنك قادمٌ غداً بلدًا السجود  
فيه قليلٌ - فأكثِر السجود .

قال عبد الله : زدني يا رسول الله .

قال : اذكر الله فإنه عونٌ لك على ما تطلب .

فقام ابن رواحة إلى سبيله .. إلا أنه ما ألبت أن يصل إلى  
رسول الله ليقول له: يا رسول الله .. إن الله وتر (\*) بحسب  
الوتر.

وكان (عبد الله بن رواحة) يريد أن يستزيد من حديث

(الوتر) هو المزمع القوي لا الودعي .

رسول الله لأن قلبه يخبره بأنها ربما كانت المرة الأخيرة التي  
ستقبل فيها ..

أحمد رسول الله : "يا من راحة ما عجزت فلا تعجزن  
إن أسأت عشرا .. أن تحسن واحدة" .

تلقى (عبد الله) وجه النبي طويلا .. وقبل وعسى وجهه  
طيف ابتسامة :

- لا أسألك عن شيء بعدها . ثم راح يشد ..

فبنت الله ما أتاك من حسن .. فليت موسى ونصرا كالأدى نصروا  
إن تغرست فبك الحزم أعرفه .. فماسة خالفهم في الذي نظروا  
أنت الرسول فمن يخزم يوالده .. والوجه منه فقد أروى به القلوب  
ومضى (عبد الله بن ربيعة) ليصم إلى ركبي  
الجماعين المتجهين إلى حدود الشام وكان من بين فرسان  
هذه الحملة خالد بن الوليد .. الذي كان حديث عهد  
بالإسلام فأراد أن يثبت ولاءه بانضمامه إلى هذا الجيش

وقد المسلمون يودعون فرسانهم الجماعين ويدعون  
لهم : (صالحكم الله ودفع عنكم وردكم إيا سائين) ..

أما النبي .. عليه السلام .. فقد سار مع جتوده حتى حدود

المدينة المنورة ووقف يعظهم ويقول : ( لا تقتلوا النسلة ولا  
الأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ولا تهلموا المنازل ولا  
تقطعوا الأشجار ) .

ومضت الحملة في سبيلها وقد ظن قلدتها أنهم سيافتون  
الروم في الشام فيحصلون على نصر سريع وغنيمة .

لكنهم ما إن اقتربوا حتى تبين لهم أن ( شرخيل ) عامل  
( هرقل ) على الشام قد علم بقدمهم .. فجمع حوله  
القبائل .. كما طلب المدد من ( هرقل ) .. فأرسل إليه جيشا  
من الروم والعرب .

واقترب جيش المسلمين من أرض الشام .. وأرسلوا  
عيونهم ترأقب الموقف .. وعلموا أن جيشا قوامه مائة ألف  
أو يزيد قد اجتمع للقائهم . واجتمع قلعة المسلمين ينظرون  
مذا هم فاعلموا .. اقترح البعض أن يرسلوا للنبي بعند  
عدوهم .. فهو إما يرسل لهم المدد اللازم .. أو يدعوهم  
للعدة .. أو يأمرهم بالقتل .

هنا قام ( عبد الله بن رواحة ) وقد اجتمعت في داخله كل  
معاني الإيمان والصدق والقروسية وحب الشهادة .. فقل  
لهم :

يا قوم: والله إن التي تكرمون للشيء خرجتم تطلبون -  
بقصد الشهادة - وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ،  
لما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ،  
فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة .

وسرى تيار الإيمان والبسالة في جموع المسلمين . وصاحوا  
في صوت واحد . فوالله صلق (ابن رواحة) .

وعند قرية (مؤتة) التقى الجيشان . جيش الروم بعدده  
وعدته . وجيش المسلمين بإيمانه واستماته .

وكان قتالا شرساً بين قوتين غير متكافئتين في العدد .  
قاتل (زييد بن حارثة) (حبيب رسول الله) وحامل راية  
الإسلام قتالا مستميتاً . حتى استشهد .

وتسلم منه الراية (جعفر بن أبي طالب) (ابن عم  
الرسول) فقاتل بشراة حتى استشهد .

وأصرع (عبد الله بن رواحة) فحمل الراية ثم مضى  
يصرخ أعداءه وكأنه جيش بأكمله . لكن .. هل تغلب  
الشجاعة الكثرة . كثرة العدد وكثرة السلاح والعنة؟؟

ولحق (ابن رواحة) بزميله . لحق الأنصاري الهمام  
بالمهاجرين البواسل . ليلتقي ثلاثتهم في جنة الخلد .

محمولين على سررٍ من ذهب..

هكذا هو - (عبد الله بن رواحة) مجاهدٌ في سبيل الله -  
مُحيًا لدينه ورسوله منذ اللحظة التي بايع فيها على نصرة  
الإسلام في العقبة الأولى - فأعطى هذه العقيدة التي آمن  
بها كل ما يملك وما هو يعطيها أغلى وآخر ما يملك؟ ..  
روحه الطاهرة ..

سلام عليك يا ابن رواحة مع الشهداء والصديقين  
والأبرار.. لكن كيف انتهت هذه الموقعة - موقعة مؤنة -  
بعد موت أمرائها الثلاثة واحدًا بعد الآخر ؟

بعد موت (ابن رواحة) ثالث هؤلاء الأمراء قرَّر  
المجاهدون المسلمون اختيارَ (خالد بن الوليد) قائداً وأميراً  
عليهم .. وكان خالدٌ كما هو معروف عنه واحداً من  
أصحاب العبقرية العسكرية الفذة .

نظر خالدٌ بن الوليد في الأمر - ووجد أن عدداً كبيراً من  
مقاتلي المسلمين قد استشهدوا .. صحيح أنهم أبلوا بلاءً  
حسناً وكبّدوا العدو خسائرَ كبيرةً .. لكن قوة هذا العدو  
ما زالت تلخّرة على الصمود ..

ولم يجد خالدُ أمامه إلا الخيلة - فقد أمر قوة جيشه أن

تسرع في الخلق في غمط عرضي على أن تتحرك الخيول  
والإبل لتصنع عاصفة رملية عالية .. تحدث جَلْبَة ..

ولما رأت جنود الروم هذا ظنوا أن مَنَدًا جديدًا قد وَصَلَ  
إلى المسلمين .. وخلقوا من العونة إلى مواجهتهم فولوا  
هاريين ..

وكانت فرصة لجيش المسلمين كي يعود بعد هذا البلاء  
الحسن .. صحيح أن هذه الغزوة لم تحقق نصرا للمسلمين ..  
لكنها في ذات الوقت لم تُحقق نصراً لأعدائهم ..

وكانت (مؤتة) هي البداية .. وكان بعدها النصرُ في  
(ذات السلاسل) ثم (تبوك) التي فتحت للإسلام شمال  
الدُّنيا وغربها وشرقها!